فلسفة التربية / المرحلة الرابعة // قسم الجغرافية / د. ياس خضر

فلسفة التربية : المفهوم والأهمية.

تتفق فلسفة التربية مع الفلسفة العامة في طبيعة وظيفتها النظرية والتطبيقية ،.

فهي من الجانب النظري : تتناول الطبيعـة الإنسـانية ، لأن مجال اهتمامها هو ( المتعلم ) بوصفه فردا مرة ، وبوصفه جزءا من المجتمع م ارت ، وتتسع معطيات هذا الجانب النظري لتشمل الوجود بصوره المادية ( الفيزيقية) ، وغير المادية ( الميتا فيزيقية ) فالمعلم والمتعلم كلاهما يحتاج إلى فهم العالم المحيط به ليفهم كيف يؤثر فيه ويتأثر به . وهذا الفهم يقود العقل الإنساني خلال عمليات التربية والتعليم إلى فحص مدى عقلانية الأفكار والسياسات

التربوية ومدى توافقها مع الأفكار الأخرى . أما الطبيعة العملية لفلسفة التربية فتتمثل في تحديد الغايات التى تتغَّياها التربيُة

وتسعى إلى تحقيقها ، والوسائل التى تتوسل بها لتحقيق تلك الغايات . وفلسفة التربية بهذا التوجهالعمليتقدمالمساعدةلأطارفالعمليةالتربويةعلىاتخاذالقارارتأوفهموتمحيص ومارجعة المقولات النظرية والمبادئ والأسس السائدة التي تقوم عليها عملية التربية .

فلسفة التربية كمصدر للسياسات التعليمية :

إن وثاقة الصلة بين الفلسفة التربوية ، والسياسات التعليمية ، تجعل موضوع التعليم

والمشاكل التي تواجهه في المنطقة العربية في مختلف المستويات موضوعا متجدًدا ، يحتم على جميع المفكرين والكتّاب والتربويين بوجه خاص ، التفكير دائما في كل ما يمكن عمله

من أجل إيجاد الحلول لهذه المشاكل. ويشهد واقعنا العربي النازف أن شعوبا أخرى سبقتنا في الاستعداد لهذا القرن

العاصفالذينعيشفيه،ووضعتاستارتيجياتلمواجهتهمنذنهايةالحربالعالميةالثانية أي منذ أن بدأ العالم يعيش مرحلة جديدة من الاكتشافات التقنية المدمرة والاستقطاب السياسي والاقتصادي والتطوير الإداري والتنظيمي المطرد. هذه الشعوب وضعت سياسات

محددة منذ ذلك الحين واستمرت في متابعتها وتعديلها وتنقيحها تبعا للمستجدات. وقد بات من الضروري أن ُين َظر إلى التعليم من ازوية أنه سياسة عامة ذات أهمية خاصة، لها آثار ونتائج تنعكس على بقية السياسات العامة الأخرى : الصحية والزارعية والاقتصادية والمالية والنقدية والضريبية والأمنية والبيئية والاجتماعية وغيرها، هذه السياسة

-2-(!)

فلسفة التربية : المفهوم والأهمية.

كغيرها لا تعدو أن تكون ذلك البرنامج أو المشروع الذي تتبناه الجماهير أو الدولة لأجل حل مشكلة ما أو تحقيق هدف معين.

وتبعا لذلك فإن أية سياسة عامة ، محكوم عليها بالإخفاق سلفًا ما لم تستند إلى

فلسفة صارمة للتربية ، ومن الضروري أن تتضمن أية خطط نهوض مبتغاة ملامح محددة لسياسة تعليمية ترفدها فلسفة تربوية تتغيا بناء الإنسان ، ومن هنا لا بد لأية سياسة عامة

لدولة من الدول أن تتضمن ثلاثة جوانب هي: صنع السياسة التعليمية تنفيذ السياسة التعليمية تقييم السياسة التعليمية.

أي وضع البرنامج الوطني للسياسة التعليمية ثم تنفيذه على أرض الواقع ثم تقييم ما

إذا حقق هذا البرنامج النتائج المطلوبة أم لا..؟

غير أن هذا أمر ليس بالسهل. إذ إن البرنامج نفسه يجب ألا يولد ولادة قيصرية قبل اكتمال نموه الفكري/ الفلسفي ، بحيث يبدو عشوائيا ارتجاليا، بل يجب أن يسبقه تحديد الأهداف بدقة، وتحديد الأهداف تتحكم فيه حقائق الموارد المادية والبشرية، و قد تحتم ندرة هذه المواردفيبعضالحالاتمعرفةالبارمجأوالمشاريعالبديلةثماختيارالبديلالأفضلبناء

على حسابات الربح والخسارة. وهذا لا يتأتى إلا إذا تتبعنا الأسس العلمية والموضوعية والعقلانية في الإعداد لهذه

السياسات، أي بمعنى آخر يجب أن نكون على درجة كبيرة من الوضوح عندما نحدد الأهداف التي يترتب عليها تحديد الأولويات، غير أن درجة الوضوح هذه هي الأخرى تتطلب أن نكون علىداريةبالبيئةالتييتمفيهاصنعالسياسةالعامة–أيالبيئةالسياسيةوالاقتصادية والإدارية والاجتماعية والثقافية- إذ لا يمكن أن نقدم برنامجا رشيدا وعلميا وموضوعيا إلا

بتوافر المعلومات الدقيقة والإحصائيات الصحيحة عن هذه البيئة. وسواء أكانت الجماهير في المؤتم ارت العامة و السياسية والحزبية [ على فرض

وجودها !! ] هي التي تصنع السياسة العامة التعليمية ، أم كان ذلك اختصاصا تحتكره الحكومات ، فإن وازارت التعليم والبحث العلمي في النهاية ما هي إلا أداة تنفيذ لهذه

-3-(!)

فلسفة التربية : المفهوم والأهمية.

السياسة ، فعلى العاملين بتلك الوازارت أن يأخذوا في الاعتبار المدى الذي وصلت إليه صناعة السياسة العامة من تعقيد وحساسية.

فالخبارء الحكوميون أو أعضاء الهيئات التعليمية المختصة ، الذين يصنعون السياسة العامة للتعليم. والسياسات العامة الأخرى، يجب أن يكونوا على د ارية تامة بتوجهات فلسفة المجتمع ، ويستخلصون منها ملامح فلسفة تربوية ، قابلة للتطبيق ، ومحكومة – عمليا-بحجمالمواردالمتاحةوالأهدافالمطلوبتحقيقهاوالقوىأوالشارئحالاجتماعية التي تخدمها أو لا تخدمها تلك السياسة. ثم عليهم أن يكونوا على د ارية بآليات التنفيذ وقدارت الجهاز التعليمي الإداري المنفذ للبرنامج والمؤسسات المختلفة التابعة له.لأن أية

سياسة عامة لا تنفذ بطريقة جيدة لا تعطي نتائج جيدة منذ البداية، وعليهمأيضاأنيكونواعلىداريةبآلياتتقييمالسياسةالعامةوذلكلمعرفةمدى

اتفاق النتائج مع الأهداف المعلنة قبل بدء التنفيذ، والتقييم في حد ذاته لا يتم بعد تنفيذ السياسةالعامةفقطبليسبقعمليةإقاررتلكالسياسةعلىشكلدارساتالجدوىالتيتقوم أساساعلىطرحالمشروعبرمتهللنقاشوالدارسةمنقبلجميعالقوىالاجتماعيةصاحبة

المصلحة في تلك السياسة أو التي ليس لها مصلحة فيها. كما أن المسؤولين عن صنع السياسة العامة ُيْفتَرض فيهم أنهم واعون بأنهم

يمارسون نشاطا سياسيا ويؤدون الت ازما قانونيا عاما يمس جميع أف ارد المجتمع. فيجب أن يتجاهلوا خلافاتهم الفكرية والشخصية ، فقد تتنازعهم أحيانا مناهج علمية مختلفة ومتعارضة في بعض الأحيان قد يضر التشبث بها بالمصلحة الوطنية .

إن أية سياسة عامة لكي تكون ناجحة يجب أن تقوم على فلسفة اقتصادية وسياسية

واجتماعية وثقافية ثابتة وواضحة. وتأخذ كل ما ذكر فيما يتعلق بإشكاليات الصنع والتنفيذ والتقييم مأخذ الجدية.

وفلسفة التربية تعنى ببساطة ما يقصده التربويون حين يصفونها بأنها : تلك

المحاولة الجادة للوعى بالمحركات الأساسية للعمل التربوى سواء من داخله ، أو من داخل البنيةالمجتمعيةفىإطارمنالتحليلوالنقدالقائمينعلىاستخدامالأدلةالعقليةوالبارهين

المنطقية ، والالت ازم الدائم بمحكية الخبرة التربوية على أرض الواقع . -4-

(!)

فلسفة التربية : المفهوم والأهمية.

ومن ثم فإن ميدان فلسفة التربية يتسع ليشمل مختلف أبعاد وجوانب المنظومة

التربوية ، ففضلاً عن مسعاها لمناقشة وتحليل ونقد جملة المفاهيم الأساسية التى يتمحور حولها العمل التربوى ( طبيعة المتعلم ـ الخبرة التربوية ـ المعرفة ـ الثقافة ـ تكافؤ الفرص ... إلخ)فإنهاتسعىإلىمناقشةالافتارضاتالأساسيةالتىتقومعليهانظرياتالتربيةمن

حيث ( التعليم ـ طارئق التعليم ـ بناء المنهج ـ أداة التعليم ـ التقويم ... إلخ ) . فمن الثابت لدى التربويين أن الإنسانيات Humanities والعلوم الاجتماعية

Social Sciences التى تستمد منها التربية بنيتها المعرفية والمعلوماتية ، علوم منفصلة يبحث كل منها عن استقلاله لأنه يعنى بميدان محدد من الخبرة ، ويعوز هذه العلوم إطار كلى تكاملى يجمعها وأسس عامة لتربية متكاملة وهذه التكاملية المعرفية والعلمية ، وتلك

التربية المتكاملة المستمدة منها لا يتحققان دون فلسفة تربوية . وان علوم التربية المتنامية والمشتتة فى آن معاً ـ مناهج ، نظريات تعلم ،

اجتماعيات تربية ، إدارة تخطيط ـ ط ارئق تعليم ـ يعوزها بناء « ابستمولوجيا » قوامه البحث عن مناهج هذه العلوم حتى تضطلع بدورها فى تكوين نظرية فى التربية يمكن الاستعانة بها فى التعامل مع قضايا الواقع التربوى ، واتجاهات التربية المرتقية مستقب ًلا ، هذه البنية

الابستمولوجية ، وهذا الدور المنهجى يتحققان من خلال فلسفة التربية .

فلسفة التربية والبحث العلمي :

وقد يتصور بعض الق ارء أن الفلسفة بوجه عام ، وفلسفة التربية في القلب منها ،

مكانها الطبيعي الأب ارج العاجية ، وليس أرض الواقع حيث يتعايش حبيبان لدودان ، وعدوان حميمان هما : التعليم ، والبحث العلمي !!

فمعالتسليمبأنالعلمالحديثهوأهممصدرمنمصادرالتغيارتالاجتماعيةفي

عصرنا هذا. فإننا لا نستطيع تأكيد أن التقاليد والعادات الثقافية والقيم